

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام الغر المحجلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

أيها الأخوة في الله : فإن من القضايا المصيرية ، التي يخشى على صاحبها من النار .. والوقوع في غضب الجبار جل جلاله .. والتي اختلطت فيها الأوراق ، وتبعثرت فيها الأفكار ، وتدخلت فيها الشهوات والشبهات ، وأصبح فئام من الناس فيها بين الغالي والجاني ، وبين إفراط أو تفريط ، والتفريط أكثر في هذا الزمن .. إنها قضية الخوف والرجاء ، تلك المطيتان .. اللتان أساء فهمهما فئام من الناس .. فليس من منهج الإسلام أن تتشبث النفوس بالأمان دون عمل بالتنزيل ، وخوف من الجليل ، واستعداد ليوم الرحيل .. وليس من منهج الإسلام أيضا .. أن يوصله الخوف من القهار إلى اليأس من رحمة الملك الغفار ؛ فكلا طريقي قصد الأمور ذميم ، وما هذا الخلط في المفاهيم إلا بسبب عدم فهم نصوص الخوف والرجاء فهما موافقا لفهم السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم .. حينها تتمادى النفوس في سلوك الطرق المنحرفة .. والأساليب الملتوية ، يقول الله عز وجل : ﴿ نبدأ عبادي أنني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب أليم ﴾ يقول الحسن البصري . رحمه الله . ( إن قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة ، يقول أحدهم : إني لأحسن الظن بري ، وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل ) وقال بعض السلف : ( رجاءك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان ) .

أخي المبارك : إن الخوف والرجاء جناحان ومطيتان ، بهما يطير ويسير المقربون إلى كل مقام محمود ، ويقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود ، فلا يقود إلى قرب الرحمن ، وروح الجنان ، مع كونه ثقيل الأعباء ، كثير الأخطاء إلا الرجاء ، ولا يصد عن نار الجحيم ، والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بالشهوات ، وعجائب اللذات إلا سيات التخويف ، ولذلك ( استحسب السلف أن يقوي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء ، وعند الخروج من الدنيا يقوي جناح الرجاء على جناح الخوف ، وقال بعضهم : ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف ، فإن غلب عليه الرجاء فسد )<sup>١</sup>

<sup>١</sup> . مدارج السالكين (١/٥١٧) بتصرف يسير .

### صور مشرقة ومواقف رائعة

أخي المبارك : دعنا ننتقل بأرواحنا وأحاسيسنا من هذا القرن .. لنقف على القرن الأول .. قرن الجيل الفريد .. لنرى صوراً رائعة ، ومواقف باهرة ، ونماذج فذة في الجمع بين الخوف والرجاء .. هذا نبيكم محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه كان يُسمع لصدره أزيزاً كأزيز الرحى من البكاء ﷺ رواه أبو داود ، وفي رواية : " وَجَوْفِهِ أَزِيْرٌ كَأَزِيْرِ الْمَرْجَلِ .. وروى ابن حبان عن علي بن أبي طالب قال " ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد بن الأسود ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويكي حتى أصبح " وروى مسلم في صحيحه أن الشمس خَسَفَتْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ فَرِعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَقَامَ يُصَلِّي بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ مَا رَأَيْتُهُ يَفْعَلُهُ فِي صَلَاةٍ قَطُّ ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرْسِلُهَا يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَافْرَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِعْفَارِهِ " فهذه حال الخائف الوجمل .. لا تمر به الآيات والعبر إلا أخذ منها الدروس والمدكر ، يقول الله تعالى : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذته أليم شديد . إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ﴾

وانطلق ابن عمر رضي الله عنهما ذات يوم ومعه جماعة من أصحابه إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقال لها : أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله ﷺ فبكت ، وقالت : كل أمره كان عجباً ، أتاني في ليلي حتى مس جلده جلدي ، ثم قال : ذرني أتعبد لربي عز وجل " قالت : فقلت والله إني لأحب قريبك ، وإني أحب أن تعبد ربك ، فقام إلى القرية فتوضأ ولم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، قال : يا رسول الله ! ما يبكيك وقد غفر الله لك ذنبك ما تقدم وما تأخر ؟ فقال : " ويحك يا بلال ، وما يعنيني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار ﴾ ثم قال : " ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها " رواه ابن حبان .

أقضى مضجعه ، ونفض لذيد النعاس عن عينيه ، وقام يصلي ويكي .. يصلي ويكي .. ويكي من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار .. من يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت و

تضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد،  
فأين عباد اللهو والغناء .. أين طلاب الفسق والخنا .. أين أكلة الربا !! أين الساهرون على  
القنوات الفضائية .. ومشاهدة الأفلام الغربية ؟!! أين الساهرون على رؤية المباريات الرياضية  
!!؟ أين الذين يتعاملون بالحرام ويبيعون الحرام !!؟ أين النساء المتبرجات !!؟ أين المفرطون  
بالصلوات !!؟ أين الذين يعلمون بنزول الرب جل وعلا في الثلث الأخير من الليل  
.. فينادي سبحانه .. هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تاب فأتوب  
عليه

يا غاديا في غفلة ورائحا \*\*\* إلى متى تستحسن القبائحا

وكم إلى كم لا تخاف موقفا \*\*\* يستنطق الله به الجوارحا

يا عجبا منك وأنت مبصر \*\*\* كيف تنكبت الطريق الواضحا

أما سلف الأمة ، وعباد هذه الملة ، الذين نصبوا لرهم الأقدام ، في ليل بهيم والناس نيام ،  
يخافون الملك العلام فهم :

عباد ليل إذا جن الظلام بهم \*\*\* كم عابد دمه في الخد أجراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم \*\*\* هبوا إلى الموت يستجدون لقياه

كان الصديق . رضي الله عنه . رجلا بكاءً ، إذا قرأ القرآن ، لم تكد تفهم قراءته من كثرة  
بكائه رضي الله عنه .

أما عن عمر الفاروق .. عمر الذي يفرق منه الشيطان .. عمر الذي :

يهتز كسرى على كرسيه فرقا من خوفه وملوك الروم تخشاه

فقد كان رضي الله عنه يبكي حتى اتخذت الدموع لها مجرى على خديه ، فرسخت لها خطين  
أسودين من كثرة تحدرهما ، يقول الحسن البصري : كان عمر يمر بالآية من ورده بالليل ،  
فبيكي حتى يسقط ، ويبقى في البيت حتى يُعاد<sup>٢</sup> ، وخرج عمر يعسُ المدينة ذات ليلة ، فمر  
بدار رجل من المسلمين ، فوافقه قائما يصلي ، فوقف يسمع قراءته ، فقرا : ﴿ والطور ﴾  
حتى بلغ : ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ قال : قسم ورب الكعبة حق ، فنزل عن حمارة  
، فاستند إلى حائط ، فمكث مليا ، ثم رجع إلى منزله ، فمرض شهرا يعودده الناس ، لا

<sup>٢</sup> . الرقة والبكاء لابن قدامة ص ١٦٦ .

يدرون ما مرضه !!<sup>٣</sup> ويقول عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيتُ عمرَ بنَ الخطابِ أخذَ تبنَةً من الأرضِ ، فقال : ليتني هذه التبنَةُ ، ليتني لم أكنُ شيئاً ، ليت أُمي لم تلدني ، ليتني كنتُ نسياً منسياً<sup>٤</sup> وقال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما : ( كان رأسُ عمرَ على فخذي في مرضه الذي مات فيه ؛ فقال لي : ضع رأسي ، قال : فوضعتُه على الأرضِ ، فقال : ( ويلي وويلُ أُمي إن لم يرحمني ربي )<sup>٥</sup>

يا ترى .. أي ذنب قد اقترفه الفاروق المبشر بالجنة ، حتى يخاف كل هذا الخوف وهو في لحظاته الأخيرة؟! إنها حساسية الإيمان التي تجعله يدعو بالويل له ولأمه، إن لم يغفر الله له ، ذلك لأنه يعلم أن مغفرة الله ورحمته لا تقرن بالعمل فحسب ، وهو الذي كان يخشى أن يكون سماه الرسول ﷺ مع المنافقين عندما جاء طالبا من أمين سر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان أن يخبره إن كان قد ذكر من بينهم أم لا ، وحتى عندما أخبره بأنه ليس منهم لم يفارقه الخوف حتى في لحظاته الأخيرة !!

وبكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أما أني لا أبكي على دنياكم هذه !! ولكن أبكي على بُعْدِ سَفْري ، وقلةِ زادي ، وإني أمسيتُ في صعودٍ على جنةٍ أو نارٍ ، لا أدري إلى أيتهما يُؤخذُ بي !!<sup>٦</sup>

هكذا كان أسلافنا الأوائل جمعوا إحسانا وخشية .. كانوا يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ، يقول الحسن البصري . رحمه الله . : ( عملوا . والله . بالطاعات ، واجتهدوا فيها . وخافوا أن ترد عليهم ، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية ، والمنافق جمع إساءة وأمنا )<sup>٧</sup> ويقول . رحمه الله . محدثا أصحابه عن ذلك الجيل الفريد : والله لو أن رجلا منكم أدرك من أدركت من القرن الأول ، ورأى ما رأيت من السلف الصالح لأصبح مهموما ، وأمسى مغموما ، وعلم أن المجدَّ منكم كاللاعب ، والمجتهد كالتارك ..<sup>٨</sup> فماذا عسى أن نقول في زماننا هذا؟! والله المستعان .

<sup>٣</sup> . الرقة والبكاء ص ١٦٦ .

<sup>٤</sup> . شرح السنة للبعوي (٣٧٣/١٤) .

<sup>٥</sup> . المرجع السابق (٣٧٣/١٤) .

<sup>٦</sup> . شرح السنة للبعوي (٣٧٣/١٤) .

<sup>٧</sup> . مدارج السالكين (٥١٢/١) .

<sup>٨</sup> . مواعظ الإمام الحسن البصري ص ١٨٦ جمع صالح الشامي .

## طرق الخوف من الله تعالى وخشيتته

يا ترى كيف السبيل إلى الوصول إلى ما وصل إليه السلف الصالح من قلوب مرهفة ، و نفوس حية .. تؤثر فيها المواعظ ، وتنفع فيها المواقف ، ألا إن من تلك الأسباب :

**أولاً:** أنهم استحضروا عظمة الله ، وعلموا أنه العظيم في ملكه وسلطانه ، العظيم في أسمائه وصفاته ، العظيم في قدرته وقوته ، العظيم في سمعه وبصره ، عندما تغلغلت هذه المعاني في سويداء قلوبهم لم يكونوا يتكلمون بكلمة يكرهها الله !! ولم يرتكبوا معصية لا يرضاها الله ، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت ، ولذلك كانوا يقولون : لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من تعصي !! وروي أن علي بن الحسين كان إذا توضأ اصفرَّ وتغيَّر ، فيقال : مالك " فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟ <sup>٩</sup> وتوضأ منصور بن زاذان . رحمه الله . يوماً فلما فرغ دمعت عيناه ثم جعل يبكي حتى ارتفع صوته فقيل له : يرحمك الله ما شأنك ؟ فقال : وأي شيء أعظم من شأني ؟ أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم .. فلعله أن يُعرض عني . فرحماك يا إلهي .. رحماك .

**ثانياً:** أنهم استشعروا مراقبة الله لهم : وأنه سبحانه مطلع على الضمائر ، عالم بالسرائر ، رقيب على أعمال العباد ، يقول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ [آل عمران : ٦] ويقول سبحانه : ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ [ غافر : ١٩] جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطويل وفيه : " قال : وما الإحسان ؟ قال ﷺ : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " الحديث رواه البخاري ومسلم <sup>١٠</sup> يقول عبدالله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فعرسنا في بعض الطريق فأنحدر عليه راع من الجبل ، فقال له : يا راعي ، يعني شاة من هذه الغنم ؟ فقال : إني مملوك ، فقال : قل لسيدك : أكلها الذئب ؟ قال : فأين الله ؟ قال : فبكي عمر رضي الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال : أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تُعتقك في الآخرة . <sup>١١</sup> قال سفيان الثوري : ( عليك بالمراقبة

<sup>٩</sup> . مختصر منهاج القاصدين لابن الجوزي ص ٣١٤ .

<sup>١٠</sup> . الفتح (٥٠/١) ومسلم (٩٠) .

<sup>١١</sup> . انظر : إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٣٩٦) .

من لا تخفى عليه خافية ، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء )<sup>١٢</sup> وقال حميد الطويل لسليمان بن علي : عظمي ، فقال : لئن كنت إذا عصيت خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت )<sup>١٣</sup>

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل \*\*\* خلوت ولكن قل عليّ رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة \*\*\* ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

ثالثاً : أنهم حاسبوا أنفسهم : و أدركوا أن القضية تتعلق بها خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ! فأرشدوا أنفسهم إلى طريق الفلاح ، وجزموا على أنفسهم بسلوك طرق الصلاح ثم لا يغفلون عن مراقبة أنفسهم لحظة واحدة ، يقول النبي ﷺ : " الكَيْسُ . أي العاقل . مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ " رواه الترمذي<sup>١٤</sup>

قَالَ الترمذي : ( وَمَعْنَى قَوْلِهِ : " مَنْ دَانَ نَفْسَهُ " يَقُولُ : حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ، وَإِنَّمَا يَخْفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا وَيُرْوَى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ لَا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيَّنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ . ) يقول أنس بن مالك : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً ، وقد خرجت معه ، حتى دخل حائطاً فسمعته يقول : وبينه وبينه جدار ، وهو في جوف الحائط : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ ، والله لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك )<sup>١٥</sup> وروى مسلم في صحيحه عن حنظلة الأسيدي قال : لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ !! قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا تَقُولُ ، قَالَ : قُلْتُ : نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا ، فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا

<sup>١٢</sup> . إحياء علوم الدين (٤/٣٩٧) .

<sup>١٣</sup> المرجع السابق (٤/٣٩٥) .

<sup>١٤</sup> . رواه الترمذي (٢٤٥٩) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ .

<sup>١٥</sup> . محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص ٢٣ .

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ !! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَمَا ذَاكَ ؟ " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُدَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالصَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " <sup>١٦</sup> وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ( لو نادى منادٍ من السماء : أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا هو ) <sup>١٧</sup> و قال ابن أبي مليكة . رحمه الله . : ( أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ ، كلهم يخاف النفاق على نفسه ، وما منهم أحد يقول : إنه على إيمان جبريل وميكائيل ) <sup>١٨</sup> وقال الحسن البصري : ( إن الرجل يذنب الذنب فما ينساه ، وما يزال متخوفا منه حتى يدخل الجنة ) <sup>١٩</sup> وقال أيضا : ( لقد مضى بين أيديكم أقوامٌ لو أن أحدهم أنفق عددَ هذا الحصى لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم ) <sup>٢٠</sup>

رابعاً : أنهم جعلوا الموت نصب أعينهم ، وفعلوا وصية نبيهم ﷺ في قوله : " أكثروا ذكر هاذم اللذات " رواه الترمذي <sup>٢١</sup> ، وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله إذا ذُكر الموت انتفض انتفاض الطير ، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء ، فيتذاكرون الموت والقيامة ، ثم يكون حتى كأن بين أيديهم جنازة !! قال الحسن البصري : فضح الموت الدنيا ، لم يترك لذي لب فيها فرحا ، وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا وهان عليه جميع ما فيها ) قال العلماء : ( تذكر الموت يردع عن المعاصي ، ويُلين القلب القاسي ، ويذهب الفرح بالدنيا ، ويهون

<sup>١٦</sup> . رواه مسلم ورقمه (٢٧٥٠) .

<sup>١٧</sup> . التخويف من النار ص ١٧ .

<sup>١٨</sup> . فتح الباري (١/١٠٩) .

<sup>١٩</sup> . الزهد للإمام أحمد ص ٣٣٨ .

<sup>٢٠</sup> . الزهد لابن المبارك ص ٥١ .

<sup>٢١</sup> . رواه الترمذي (٢٣١٧) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

المصائب فيها) <sup>٢٢</sup> ويقول الحسن البصري . رحمه الله . : ( أيها الناس : لو توعدكم مخلوق بموت ، لما استقر بكم القرار ، فكيف بوعد ملك الملوك ، والحي الذي لا يموت !!؟ ) <sup>٢٣</sup>

خامساً : أنهم تذكروا القبر وظلمته ، واللحد وضمته ، والدود ونهسته ، فانعقدت قلوبهم من خوف الله ، وتوطنت نفوسهم على ملازمة حدود الله ومحارمه . عن هانئ مولى عثمان قال : كَانَ عَثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي حَتَّى يَبْلُغَ حَيْثَهُ فَقِيلَ لَهُ : تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ ؛ فَإِنْ بَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ ؛ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ " قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرَ أَفْطَحَ مِنْهُ " رواه الترمذي <sup>٢٤</sup>

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه : ( ويحك يا يزيد ! من ذا يصلي عنك بعد الموت ؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ من ذا يترضى عنك بعد الموت ؟ ثم يقول : أيها الناس ! ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم .. من الموت موعده .. والقبر بيته ، والثرى فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر .. كيف يكون حاله ؟ ثم يبكي رحمه الله ) <sup>٢٥</sup>

سادساً : أنهم تذكروا يوم القيامة ، يوم الحساب والجزاء ، يوم تتطير الصحف . فآخذ كتابه يمينه ، وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره .. وتذكروا النار وحرها .. والجنة ونعيمها روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في خطبته : ( يا عباد الله : الموت الموت فليس منه فوت ، إن أقمتم له أخذكم ، وإن فررتم منه أدرككم ، الموت معقودٌ بناوصيكم ، فالنجاة النجاة ... فإن وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر ، ألا وإن القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران ، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الديدان ، ألا وإن من وراء ذلك اليوم يوماً أشد من ذلك اليوم ، يوماً يشيب فيه الصغير ، ويسكر فيه الكبير : ﴿ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى

<sup>٢٢</sup> . التذكرة للقرطبي ص ١٧-٢١ .

<sup>٢٣</sup> . مواعظ الإمام الحسن البصري ص ١٨٥ . جمع صالح الشامي .

<sup>٢٤</sup> . رواه الترمذي (٢٣٠٨) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ هِشَامِ بْنِ يُوسُفَ . وحسنه الألباني في المشكاة

وانظر : صحيح الجامع الصغير (٨٥/٢) .

<sup>٢٥</sup> . التذكرة للقرطبي ص ٩ .



ولكن عذاب الله شديد ﴿ ) وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إن أشد ما أخافُ على نفسي يومَ القيامةِ أن يقالَ لي : يا أبا الدرداءِ قد عَلِمْتَ فكيفَ عملتَ فيما علمتَ ؟ وكان يقولُ : لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموتِ لما أكلتُم طعاماً على شهوةٍ ، ولا شربتم شراباً على شهوةٍ ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه ، ولخرجتم إلى الصعيدِ تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ، ولوددتُ أني شجرةٌ تعضدُ ثم تؤكلُ ) وكان عبدالله بن شداد إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم فيقول : اللهم إن النار أذهبت مني النوم ، فيقوم فيصلي حتى يصبح . وكان سعيد بن المسيب يُكثر أن يقول في مجلسه : اللهم سلِّم سلم ، وقيل لعمر بن عبدالعزيز : لو جعلت على طعامك أميناً لا تُغتال ، وحرساً إذا صلَّيت ، وتنحَّ عن الطاعون قال : اللهم إن كنت تعلمُ أي أخافُ يوماً دون يومِ القيامةِ فلا تُؤمِّنْ خوفي !!<sup>٢٦</sup>



### ثمرات الخوف من الله تعالى

**أولاً :** الخوف من الله يدعك آمناً مطمئناً من الفرع الأكبر يوم القيامة ، يقول الله عز وجل : ﴿ لا يحزنهم الفرع الأكبر تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ [ الأنبياء : ١٠٣ ] ويقول سبحانه : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ [ النمل : ٨٩ ] . قال بعض السلف : ( إن الله لا يجمع للمرء بين خوفين ولا أمنين ، فإن خاف الله في الدنيا أمنه الله يوم القيامة ، وإن أمن الله ومكره ، وعقابه في الدنيا ، أخافه الله يوم القيامة ، يوم يجمع الخلائق .. )

**ثانياً :** الخوف من الله يجعلك في ظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله :

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ... وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِيَّيَّ أَخَافُ اللَّهُ.. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " <sup>٢٧</sup>

**ثالثاً :** الخوف من الله يورثك الأمن والنصرة في الدنيا : يقول الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربحهم لنهلكن الظالمين .

<sup>٢٦</sup> . سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ١٦٢ .

<sup>٢٧</sup> . رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) .

ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴿ إبراهيم : ١٣ -  
 ١٤ ] قال عمر بن عبدالعزيز : ( من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله  
 خاف من كل شيء )<sup>٢٨</sup> وقال يحيى بن معاذ الرازي : ( على قدر حبك الله يحبك الخلق ،  
 وعلى قدر خوفك من الله ، يهابك الخلق )<sup>٢٩</sup> وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ( إن  
 خفت الله لم يضرك أحد ، وإن خفت غير الله لم ينفك أحد )<sup>٣٠</sup> وقال أبو سليمان  
 الداراني : ( أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل ، وكل قلب ليس فيه  
 خوف فهو حرب )<sup>٣١</sup>

رابعاً: الخوف من الله يورثك الفوز بالجنة والنجاة من النار : يقول الله تعالى : ﴿ وأما من  
 خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات : ٤٠-٤١]  
 يقول ابن كثير . رحمه الله . في تفسيره : ( أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف  
 حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردّها إلى طاعة مولاها ﴿ فإن الجنة هي المأوى ﴾ أي  
 منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء ) ويقول الله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان  
 . فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ [الرحمن : ٤٦-٤٧] يقول ابن عباس رضي الله عنهما : ( وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه وأدوا فرائضه الجنة )<sup>٣٢</sup> .

و روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من خاف  
 أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل إلا أن سلعة الله غالية ، إلا إن سلعة الله الجنة " <sup>٣٣</sup>  
 وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ كَيْفَ بَجْدِكَ؟  
 قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

<sup>٢٨</sup> . شعب الإيمان للبيهقي (٢٠٦/٣) .

<sup>٢٩</sup> . شعب الإيمان للبيهقي (٢٠٩/٣) .

<sup>٣٠</sup> . التخويف من النار لابن رجب ص ١٦ .

<sup>٣١</sup> . التخويف من النار ص ١٢٢ . لابن رجب .

<sup>٣٢</sup> . التخويف من النار ص ٧ .

<sup>٣٣</sup> رواه الترمذي (٢٤٥٠) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وصححه الحاكم (٣٠٧/٤-٣٠٨) ووافقه الذهبي .

وَسَلَّمَ : " لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ " ٣٤

خامسا : الخوف من الله يجعلك تنجو بنفسك وروحك من مزلق الهوى ، ودروب المهالك والردى : قال إبراهيم بن سفيان : ( إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه ، وطرد الدنيا عنه ) ٣٥ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . : ( الخوف المحمود : ما حجزك عن محارم الله ) ٣٦ وقال أبو حفص : ( الخوف : سراج في القلب يبصر به ما فيه من الخير والشر ) ٣٧ وقد روى مالك في الموطأ وغيره أن عمر خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة ، وكان يفعل ذلك كثيراً إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقة بابها ، تقول :

تطاول هذا الليل وأزورّ جانبه وأرقتي أن لا ضجيج لأعبه  
الأعبه طورا وطورا كأنما بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه  
يسر به من كان يلهو بقربه لطيف الحشا لا يحتويه أقربه  
فوالله لولا الله لا شيء غيره لنقض من هذا السرير جوانبه  
ولكنني أخشى رقبيا موكلا بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه  
مخافة ربي والحياء يصدني وإكرام بعلي أن تنال مراكبه ٣٨

فهذه المرأة امتنعت من ارتكاب الفاحشة بسبب تقوى الله تعالى ، والخوف منه سبحانه وتعالى .

سادساً : الخوف من الله يجعلك تشفق على الخلق :

وهذه صفة الأنبياء كلهم كانوا يحدرون قومهم من عذاب الله ويخافون عليهم من ذلك ، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه : ﴿ إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ [الأعراف : ٥٩] وقال شعيب عليه السلام : ﴿ إني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ [هود : ٨٤] وهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يقول لوالده : ﴿ يا أبت أني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴾ [مريم : ٤٤ - ٤٤] وهكذا الصالحون من عباد الله يخافون على أقوامهم من عذاب الله ومكره يقول الله تعالى : ﴿ وقال

٣٤ . رواه الترمذي ورقمه (٩٨٣) وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ . وقال النووي : إسناده حسن ، وحسنه الألباني ، صحيح ابن ماجه

(٣٤٣٦) وهو في الصحيحة (١٠٥١) .

٣٥ . بصائر ذوي التمييز (٥٧٧/٢) .

٣٦ . المرجع السابق (٥٧٧/٢) .

٣٧ . المرجع السابق (٥٧٧/٢) .

٣٨ انظر : تفسير ابن كثير عند آية البقرة رقم ٢٢٧ .

الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد . ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ﴿ [غافر: ٣٠-٣٢] .

سابعاً : الخوف من الله دليل على كمال إيمانك وحسن إسلامك

يقول الله تعالى في وصف الأبرار : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ [الإنسان : ٧] ويقول الله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ تتحافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [السجدة : ١٦] وقال سبحانه : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والأصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ [النور : ٣٦-٣٧]

اللهم يسرنا لليسرى .. اللهم ارزقنا الهدى والتقوى والعفاف والغنى .. اللهم اغفر ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا .. اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة .. سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

محمد بن عبدالله بن صالح الهبدان